هل اقتربت الساعة ؟

د. مصطفى حسن البدوى

الناشر
للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعَة الأُولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذى أحسن كل شيء خلقه وأنزل كل شيء بقدر، والصلاة والسلام على نبي آخر الزمان وآله وصحبه وكل من استوى عنده من الدنيا الذهب والمدر.

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾.(١)

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« **بعثت أنا والساعة كهاتين** » وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.(٢)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، إن كادت لتسبقني** »(٣).

---

(١) سورة القمر ، آية : ١.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد والطبراني عن أبي جحيفة رضي الله عنه.

كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« بُعثت في نَفَس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه»[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« بُعثت بين يدي الساعة وبالسيف حتى يُعبد الله تعالى وحده لاشريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصَغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم »[(٢)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« مَثَلي ومَثَلُ الساعة كفرسي رهان. مَثَلي ومثلُ الساعة كمثل رجل بعثه قوم طليعة فلما خشي أن يُسبق ألاح بثوبيه : أُتيتم أُتيتم ! أنا ذاك أناذاك ! »[(٣)].

وذكر ابن كثير في تفسيره عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت

---

(١) أخرجه الترمذي عن المستورد بن شداد رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه البيهقي عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف[١] يسير فقال :

« والذي نفس محمد بيده ، ما بقي من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ». وما يرى من الشمس إلا اليسير.[٢]

وقال الشيخ الألوسي في تفسيره للعصر المقصود في سورة العصر : « وقيل هو زمان حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وما بعده إلى يوم القيامة، ومقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار. ويؤذن بذلك ما رواه البخاري عن سالم بن عبدالله عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ... » .[٣]

والحديث بتمامه كالآتي :

« إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة

(١) سُـف : أي لم يبق على إختفاء الشمس بعد ميلها إلا قليل .
(٢) أخرجه البزار عن أنس رضي الله عنه.
(٣) « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » للعلامة الألوسي، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، الجزء ٢٨ ، ص ٢٩٢ .

العصر إلى غروب الشمس .

أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى انتصف النهار ثم عَجِزوا فأعطوا قيراطا قيراطا.

ثم أوتي أهلُ الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا.

ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهلُ الكتاب : أي ربنا ! أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا ؟

قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟

قالوا : لا !

قال : فهو فضلي أوتيه من أشاء ».(١)

ولما كانت دورة الزمن المكونة من الليل والنهار تبدأ بمغرب الشمس وتنتهي بمغربها في اليوم التالي فإن عمر الأمة المحمدية هو آخر ساعات النهار، أي من بعد العصر إلى المغرب وهو قيام الساعة. ولذلك يخبرنا الحديث المذكور آنفا أن وقت اليهود كان

---

(١) أخرجه البخاري عن عمر رضي الله عنه.

قبل انتصاف النهار، ووقت النصارى من الزوال إلى العصر، ويكون وقت الأمم السابقة لليهود ما قبل ذلك .

يدل كل ذلك على أنه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان قد انقضى من عمر الدنيا أكثره ولم يبق منه إلا القليل حتى قيام الساعة. ولقد مرّ على هذه الأمة منذ أن تفوه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأحاديث أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فأين نحن الآن من قيام الساعة؟ هل تقوم الساعة بعد آلاف من السنين؟ أم بعد المـئات ؟ أم العشرات؟ وما أهمية معرفة ذلك ؟

واقع الأمر أن معرفة ذلك أمر حيوي للغاية لكل مسلم، إن لم يكن لكل إنسان على وجه الأرض، فإننا نعيش زمانا تزايدت فيه الفتن، وكثرت فيه الكوارث الطبيعية، وتعددت فيه المذاهب الفكرية والأيديولوجية، وتغيرت فيه المجتمعات الإنسانية تغيرا جذريا وشاملا عما كانت عليه حتى عهد قريب، وفرضت الحضارة الغربية سيادتها على أرجاء المعمورة. والحضارة الغربية حضارة مادية ملحدة، قوتها العسكرية يظن الناظر إليها أنها لا تُقهر، وقوتها

الاقتصادية لا تُغلب، وتفوقها الصناعي والتكنولوجي لا يجارى، ولا يرقى اليه تطلع دول العالم الثالث . هذه الحضارة لها بريق مادي يخطف الأبصار ويستحوذ على النفوس، ولها قدرة فائقة على نشر أفكارها ومبادئها وأساليبها وأغراضها عبر وسائل الإعلام التي ابتدعتها وسخرتها لخدمتها تسخيراً كاملا متقنا.

في ظل هذه الظروف أصبح من الواجب على المسلمين الرجوع إلى العلوم التي جاء بها الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، علم النبوة الذي أظهره الخالق سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذا هو الذي ينقذهم من الانسياق الأعمى وراء الأفكار الغربية المبثوثة في وسائل الإعلام بدعوى أنها الحق الذى لا مراء فيه، وهو الذى يمكّنهم من تفهم ما يرونه حولهم من أحداث وظواهر، حتى يعلموا كيف يكون التفريق فيها بين الحق والباطل، والحلال فيها من الحرام، ويعلموا إلى أي مرحلة من مراحل البشرية وصلوا، وماهي أخطار هذه المرحلة عليهم؟وكيفية الاحتراز والنجاة من هذه الأخطار.

وكيف لايكون ذلك واجبا على كل مسلم وقد قيل عن فتن آخر الزمان انها تهوي بالرجل إلى الكفر ؟

فقد روى ابن ماجه والطبراني عن سيدنا أبي أمامة الباهلي ، رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

« ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، إلا من أحياه الله بالعلم » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« مثلي كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فذلك مَثَلي ومثلكم، أنا آخذ بِحُجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار ! فتغلبوني فتقتحمون فيها ».(١)

وروى ابن عساكر عن سيدنا معاذ بن جبل ، رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

« إذا ظهرت البدع ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فلينشره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » .

وإن علم اشراط الساعة وصفات آخر الزمان لمن العلوم التي لاينبغي لمسلم إهمالها، فإن هذا العلم هو المنقذ من أخطار الفتن المتلاحقة التي يكون فيها الحليم - أي ذو العقل والفهم - حيران، كما ورد في الخبر.

وإنا لفي زمان انقلبت فيه الموازين رأسا على عقب، وصورت فيه وسائل الإعلام الخاضعة للغرب الأمور على عكس ماهي عليه، وبث في الأمة الإسلامية الكثير من الأفكار التي أصبحت لدى الناس قضايا مسلم بها بينما أنها لو عُرضت على الكتاب والسنة لوجدت أنها على العكس منها تماماً.

ولنعط على ذلك مثالا واحدا : كثيرا ما نسمع قول المنبهرين بالحضارة الغربية أن في الغرب إسلام بلا مسلمين وفي ديار المسلمين مسلمون بلا إسلام، يريدون بذلك أن التفوق التكنولوجي وما جاء معه من نظافة ونظام وتيسير في الأمور

الدنيوية في الدول الغربية كان يجب أن يكون القائمون به المسلمين، بينما الفوضى والصعوبات الدنيوية التي نعاني منها كان الأحرى أن يعاني منها الكفار لكفرهم. ونسي هؤلاء أن سنة الله في خلقه أنه كلما فسد المؤمنون ضيق عليهم، بينما يوسع للكافر في دنياه استدراجا له ومكرا به حتى يزداد غيا وخسرانا. كما نسي هؤلاء أن الواجهة البراقة للحضارة الغربية تخفي ما بهم من الأمراض والأسقام التي لم تكن فيمن قبلهم، والفوضى الإجتماعية، وتلوث البيئة، والإنحلال الخلقى، ثم أهم من هذا وذاك، نسي هؤلاء أن الكافر مهما تمتع في الدنيا فمصيره إلى النار.

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته بالإستعاذة من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وخصوصا الفتنة الكبرى التي هي فتنة الدجال، فإن من خطورتها على الناس ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وصية الأمة بالاستعاذة منها بالاتيان بهذا الدعاء فى الصلوات فى التشهد الأخير ويوميا بعد كل صلاة مكتوبة :

« االلهم اني أعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات، وعذاب القبر، وفتنة المسيح الدجال ».

وقد غرس صلى الله عليه وآله وسلم هذه الإستعاذة في الأمة في وقته وهو يعلم تماما صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال لن يأتي قبل مرور مئات السنين، ولكن لكي يجد الدجال حين يأتي أن المسلمين لازالوا متحصنين بهذه الدعوات النبوية من إغوائه وإضلاله. وكذلك الأحاديث الخاصة بأشراط الساعة فإنما قيلت لنا وتُركت لكي نستقى منها علما ونهتدى بها عند ورود مضلات الفتن.

وليس الغرض من هذا الكتاب إيراد وشرح جميع الأحاديث الواردة في علامات الساعة شرحا مفصلا ومدعما بالأمثلة الكثيرة من الأحداث والوقائع التاريخية، سواء القديمة أو المعاصرة، وإنما هو عرض الأحاديث على القارئ المعاصر بصورة فيها شيء من التنظيم، مع إشارات موجزة إلى كيفية الاستدلال بها على ما يحدث حولنا من أحداث، ثم تركه ليعمل فكره فيها ويستكشف منها القوانين الإلهية التي وضعها فاطر السموات والأرض للخليقة،

حتى يصل إلى فهم ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله** ﴾[١] ويطبق ما يفهم على ما يرى، فتظهر له الأمور على حقيقتها، ويتبين له مدى التعمية والتضليل التي ترزح تحت أعبائهما الأمة، ثم يرسم لنفسه طريق النجاة والخلاص.

وإن كثيراً من الناس ليس لهم علم بهذه الأحاديث أصلا، وكثيراً منهم لهم علم ببعضها ولكنهم لم يتفكروا فيها وفيما تدل عليه، فكان هذا هو الدافع الأول لجمعها على هذه الصورة، وتبويبها بما يلائم العقلية المعاصرة؛ فمن نظر فيها وأنصف ولم يحاول تطويعها قهرا لما يؤمن به من نظريات ولما عنده من أفكار مسبقة فلابد وأن يستخرج منها المفاهيم التي تستنير بها بصيرته.

والله ولي التوفيق .

❋ ❋ ❋

(١) سورة الروم ، آية : ٣٠.

(١) إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بما تمر به الأمة من أحداث إلى يوم القيامة

أطلع المولى عز وجل حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على ما كان وما سيكون ، وأراه كل شئ رؤية عيان ، فأخبر أمته بما يحتاجون إلى معرفته من هذه الأمور، لكي يكونوا على بصيرة من أمرهم ، ويعرفوا ماذا يفعلون عند نزول الفتن والبلايا ، وحتى يورّثوا هذه العلوم إلى من بعدهم ، طبقة بعد طبقة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الصبح، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى الظهر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس ، فحدثنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا » (١) .

(١) أخرجه أحمد ومسلم .

وقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه و نسيه من نسيه »(١) .

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : « والله ما أدري أنسي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم تناسوا ؟ والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا ، إلا قد سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم أبيه واسم قبيلته »(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى أدخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم . حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه »(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد .
(٢) أخرجه أبو داود .
(٣) أخرجه البخاري.

وقال حذيفة رضي الله عنه : « لقد خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه ، وجهله من جهله . إن كنت لأرى الشئ قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه » (١).

ولا غرو في أن رسول الله صلى الله على وسلم أخبر أصحابه عن كل شئ من بدء الخلق إلى يوم القيامة ، فقد علّمه الله علم الأولين والآخرين .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« أتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد ! قلت : لبيك ربي وسعديك ! قال: فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : ربي لا أدري . فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين المشرق والمغرب... » (٢).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود .
(٢) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً :

... فعلمت ما في السموات وما في الأرض ... [(١)].

وفي رواية أخرى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه :

« **... فتجلى لي كل شئ فعرفت ...** » [(٢)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها ...** » [(٣)].

ولذلك لما وصف الفتن ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وصفها وصف المشاهد لها ، الناظر اليها .

قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما : أشرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أطم من آطام المدينة فقال :

« **هل ترون ما أرى ؟** » .

---

(١) أخرجه الترمذي .
(٢) اخرجه الترمذي.
(٣) أخرجه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه.

قالوا : « لا» .

قال : « **فإني أرى مواقع الفتن خـــلال بيوتكم كمواقع القطر** » (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون . أطّت السماء وحُقّ لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملَك واضع جبهته لله تعالى ساجداً . والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصُعدات تجأرون إلى الله** » (٢) .

وقد أخبر النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أمته بما يحدث بعد وفاته من ردة ودجاجلة ، ووفاة السيدة فاطمة الزهراء بعده بستةأشهر ، ومقتل سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والحاكم .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه .

عفان رضي الله عنهما ، ثم الفتن التي تحصل في عهد سيدنا علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، تفصيلا ، ثم تنازل سيدنا الإمام الحسن عن الخلافة لحقن دماء المسلمين ، ثم مقتل سيدنا الإمام الحسين ، رضي الله عنه ، بكربلاء ، واستيلاء بني أمية على الحكم وعلى المنبر النبوي بالمدينة المنورة ، إلى آخر ما أخبر به مما جاء كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم .

***

(٢) تدهور الزمان

إن خير وقت لكل أمة ، حيث يكون الخير في ذروته والشر في أضعفه ، وقت وجود نبي كل أمة بين ظهرانيهم ، ثم لايزال الأمر في تدن مستمر حتى يذهب الصالحون ويذهب معهم العلم، ويندرس الدين فلا يبقى له أثر يذكر .

وقد حدث هذا في الأمم السابقة ، وآخرهم النصاري الذين اندرس دينهم حتى انطمس بالكلية ، وقامت على أنقاضه الحضارة الحديثة القائمة على المادية وعبادة الشهوات والأهواء ، حتى أنه لم يعد فيهم ، – وإن ادّعوا عكس ذلك – من يمكن وصفه بأنه من أتباع سيدنا عيسى ، عليه السلام ، بأي حال من الأحوال .

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن أحوال الأمة الإسلامية لن تزال في تدن إلى قيام الساعة ، وقد وصف صلى الله

عليه وآله وسلم هذا التدني والانخفاض وأسبابه فقال معبرا عن سنة الله في خلقه التي ليس لها تبديل :

« مامن عام إلا ينقص الخير فيه ويزيد الشر » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » (٢).

وقال صلى الله عليه واله وسلم :

« ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لن يزداد الزمان إلا شدة، ولن يزداد الناس إلا شحا ولن تقوم الساعة إلا على شرار الناس » (٤).

---

(١) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه .
(٤) أخرجه ابن النجار عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه واله وسلم :

« لا يـــزداد الأمر إلا شدة، ولا يـــزداد المال إلا إفاضـة، ولايزداد الناس إلا شـحـا، ولا تقـوم السـاعـة إلا على شـرار الناس » (١).

وقد أكّد صلي الله عليه وسلم مراراً وتكراراً أن خير القرون قرنه ثم يظل الناس فى تدنٍ حتى قيام الساعة وذلك فى الأحاديث التالية ومثلها:

« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السِّمَن ، يُعطُون الشهادة قبل أن يُسألوها » (٢).

« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » (٣).

---

(١) أخرجه الطبراني والحاكم عن أبي أمامة ، والطبراني عن معاوية رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

« خيركم قرني ،ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولايُستشهدون، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السِّمَن» (١) .

« خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم يخلف قوم يحبون السمانة ، يشهدون قبل أن يستشهدون » (٢) .

« خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثانى، ثم الثالث» (٣) .

« خير الناس قرني الذي أنا فيهم ، ثم الذين يلونهم ،ثم الذين يلونهم ، والآخرون أرذال » (٤) .

« خير الناس قرني، ثم الثاني، ثم الثالث ،ثم يجئ قوم لا خير منهم » (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبوداود عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه الحاكم والطبراني عن جعدة بن هبيرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

« خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو أقوام ينذرون ولا يوفون ، و يحلفون ولا يُستحلفون، ويفشو فيهم السمن » (١).

« نحن خير من أبنائنا ، وبنونا خير من أبنائهم ، وأبناء بنينا خير من أبناء أبنائهم » (٢).

« يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر » (٣).

« إن أول هذه الأمة خيارهم وآخرها شرارهم، مختلفين متفرقين؛ فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلتأته منيته وهو يأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » (٤).

وعن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال : قُرِّب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تمر ورطب فأكلوا منه حتى لم يبق منه شئ

(١) أخرجه الطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الطبراني عن معاذ رضي الله عنه .
(٣) أخرجه البخاري وأحمد عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه .
(٤) أخرجه الطبراني فى الكبير عن ابن مسعود رضى الله عنه.

إلا نواه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **أتدرون ما هذا ؟ تذهبون الخيِّر فالخيِّر حتى لا يبقى منكم إلا مثل هذه** »[١].

في هذه الأحاديث بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن كل جيل يأتي يكون أسوأ من الذي قبله وخير من الذي يليه، وأن من علامات تدهور الزمان زيادة الأموال في أيدي الناس، وزيادة البخل والشح ، وانتشار السمنة والكذب ، ونقض العهود .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم.

(٣) الدين يضعف شيئا فشيئا بذهاب أهله

وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم أن الدين يضعف ويذهب شيئا فشيئا حتى لا يبقى منه شئ ، إلى حد أنه :

« **لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله !** » [(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء** » [(٢)].

وفى رواية أخري :

« **بدأ الإسلام غريبا ثم يعود كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يَصلُحُون إذا فسد الناس ...** » [(٣)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **لينتقضن الإسلام عروة عروة** ». (٤)

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه .
(٢) أخرجه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد عن عبدالرحمن الأشجعي رضي الله عنه.
(٤) أخرجه أحمد عن فيروز الديلمي رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتُنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة»[(١)].

وقد أخبر صلى الله عليه عليه وآله وسلم عما يعنيه بنقض الحكم حين قال :

« خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء »[(٢)].

وحين قال صلي الله عليه وآله وسلم :

« الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك »[(٣)].

وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ، ثم يكون رحمة وخلافة

(١) أخرجه أحمد وابن حبان عن أبي أمامة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود والحاكم عن سفينة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الترمذي وأحمد عن سفينة رضي الله عنه.

ثم كائن ملكا عضوضا ، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأمة ، يستحلون الحرير والفروج والخمور ، ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل » [(١)].

وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن فيكم النبوة ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم يكون ملكا وجبرية » [(٢)].

وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، ولتكونَنَّ أئمة مضلون، ولتخرجن على أثر ذلك الدجالون الثلاثة » [(٣)].

* * *

(١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي عن معاذ وأبي عبيدة، ونعيم بن حماد في الفتن عن حذيفة رضي الله عنهم.
(٢) أخرجه الطبراني عن أبي عبيدة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه.

(٤) أسباب التدهور

إن تدهور الأمة كما يظهر من الأحاديث النبوية له أسباب أربعة مرتبطة ومتداخل بعضها بالبعض،

فالسبب الأول فساد الأمراء ،

والثاني فساد العلماء ،

والثالث تقليد الأمم الأخرى في كل كبيرة وصغيرة ،

والرابع، وهو ناشئ عن الثلاثة الاولى ويزيدها قوة ، وهو تباعد عوام الناس عن الدين وتكالبهم على الدنيا ، ووقوعهم في الكبائر التي تجر عليهم اللعنات .

ونتيجة لهذه العوامل وهذا التدهور نجد أن الأمة تضعف ويصيبها الوهن حتى تصير لقمة سائغة في أفواه الأمم الأخرى ، حتى تداعى على هذه الأمة المنكوبة تداعي الآكلة على قصعتها. وتظهر فيهم الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ،

ويكثر موت الفجاءة ، وتكثر الكوارث الطبيعية من زلازل وعواصف ، إلى آخر ما سيظهر من دراسة الأحاديث الشريفة .

« أ » **فساد الأمراء ومن حولهم :**

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« **يكون بعدي قوم يأخذون الملك ، يقتل عليه بعضهم بعضاً** » (١) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« **سيكون بعدي خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابرة ، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، ثم يؤمّر بعده القحطاني ، فو الذي بعثني بالحق ما هو دونه** » (٢) .

هكذا وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تدهور أنظمة الحكم عبر الزمن ، ومن الواضح أننا أصبحنا الأن في العالم الإسلامي في المرحلة الأخيرة والسفلى من هذا الوصف التي هي

---

(١) أخرجه أحمد عن عمار رضي الله عنه .
(٢) أخرجه الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

مـرحلة الجبـابرة ، وقـد وصـفـهـم صلى الله عليـه وآله وسلم في أحاديث شتى فقال :

« ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم قولهم، يتقاحمون في النار كما تقاحم القردة » (١).

وفي رواية أخرى :

« تكون أمراء يقولون ولايُرَدُّ عليهم، يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضا » (٢).

وفي حديث آخر :

« ستكـون عليكم أمراء من بعدي يأمرونكم بما لاتعرفون، ويعملـون بما تنكـرون، فليـس أولئك عليكم بأئمة » (٣).

فالحديث الأول يشير إلى أنه ما يقوله هؤلاء الأمراء نافذ، لايرد عليهم من حولهم إلا : « موافقون ! موافقون ! » والثاني إلى أنهم سوف يبدلون المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، فزالت عنهم بذلك صفة الإمامة.

(١) أخرجه أحمد عن عمار رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الطبراني عن معاوية رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الطبراني عن جاحل الصدفي رضي الله عنه.

وليس الأمراء أو الجبابرة في فراغ ، فحولهم بطانة من أصحاب المراكز والمصالح ، وقد جاء ذكرهم فى هذه الأحاديث.

« ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ؛ فالمعصوم من عصمه الله » (١).

« ما بعث الله من نبي ، ولا كان بعده من خليفة ، إلا كان له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا ؛ فمن وُقي بطانة السوء فقد وقي » (٢).

« ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها » (٣).

وهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة وجلية على أن كل جبار له بطانة سوء، وهم المنتفعون من مراكزهم وقربهم من ذلك الجبار وهم الذين يديرون أمور البلاد لحسابه ولحسابهم الخاص،

---

(١) أخرجه أحمد والبخاري والنسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه.
(٢) أخرجه النسائي عن أبي أيوب رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

فيأمرونه بالمنكر ، وينهونه عن ايتاء كل ذي حق حقه ، ويزينون له فعل اضطهاد الناس ، والتنكيل بمن يظن فيه المعارضة ، والأخذ بالشبهات . وهم كما توضح الأحاديث القادمة يسيرون في درب غير درب الإسلام :

« ألا إن رحى الاسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب ... »(١)

وافتراق الحكم عن الشريعة تم على مراحل حتى وصل إلى ما نراه اليوم من دول تسمي نفسها إسلامية ويُقضَى فيها بقوانين وضعية وليس بشرع الله عز وجل، ويكون فيها الضعيف مقهوراً، بينما صاحب الجاه الدنيوي فوق القانون. وهذه الأمور تجر على الأمة البلاء الشديد، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ... ».(٢)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية والطبراني عن معاذ رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أصحاب الكتب الستة عن عائشة رضي الله عنها.

وفى حديث آخر :

« حدٌّ يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمطروا ثلاثين صباحا » (١).

وفى حديث آخر :

« ... ولا حكَمَ أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض مافي أيديهم، وما عطّلوا كتاب الله وسنة رسول الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » (٢)

وفى حديث آخر :

« ... وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر... » (٣).

فما موقف المرء المسلم من هؤلاء الحكام ؟

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمعوا ، إنه سيكون عليكم أمراء ، فلا تعينوهم على

---

(١) أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ظلمهم ، ولا تُصدّقوهم بكذبهم ، فإنه من أعانهم على ظلمهم وصدّقهم على كذبهم فلن يرد الحوض » (١).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمعوا ، هل سمعتم ، إنه سيكون بعدي أمراء ، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليس مني ولست منه ، وليس بوارد عليّ الحوض . ومن لم يدخل عليهم ، ولم يعنهم على ظلمهم ، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه ، وهو وارد عليّ الحوض » (٢).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم رجال قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنسان.»

قال حذيفة : « كيف أصنع إن أدركني ذلك ؟ »

قال : « السمع للأمير أعظم وإن ضرب ظهرك وأخذ

---

(١) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وأبو يعلى والطبراني عن عبدالله بن خباب عن أبيه رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي وابن حبان عن كعب بن عجرة رضي الله عنه .

مالك » (١).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد عليّ الحوض » (٢).

ويقول صلي الله عليه وآله وسلم :

« ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم ، يحدثونكم فيكذبونكم ، ويعملون فيسيئون العمل ، لا يرضون منكم حتى تُحسِّنوا قبيحهم وتُصدِّقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق مارضوا به ، فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد » (٣).

وكذلك يقول صلي الله عليه وآله وسلم :

« ستكون بعدي أَثَرةَ وأمور تنكرونها » .

قالوا : « فما تأمرنا ؟ »

---

(١) أخرجه ابن سعد عن حذيفة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما .
(٣) أخرجه الطبراني عن أبي سلالة الأسلمي رضي الله عنه .

قال : « **تـــؤدون الحـــق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم** »[(١)].

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم:

« **ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره بريء ، ومن أنكر سَـلِم ، ولكن من رضي وتابع لم يبرأ** »[(٢)].

صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الحكام يستأثرون بأموال الشعوب ، ويتحكمون في أرزاقهم ، ويكذبون عليهم بالتصريحات الكاذبة والوعود الجوفاء ، ويسيرون بالناس في طريق لا يؤدي إلا إلى اضطرارهم لأكل الحرام من رشوة واختلاس وخلافه .

ويقـول صلى الله عليـه وآله وسلم : « **تؤدون الحق الذي عليكم** » أي على الرغم من الظلم الواقع ، « **وتسألون الله الذي لكم** »، أي لا ترجو الأمة الخير إلا من الله ولا تنتظره من هؤلاء الحكام .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم وأبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها.

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« خـذوا العطاء ما كـان عطاءً ، فإذا كـان إنماهو رشـاء فـاتركـوه، ولا أراكم تفـعلون ، يحـملكم على ذلك الفـقـر والحاجة، ألا وإن رحى بني مرخ قـد دارت، وإن رحى الإسـلام دائرة، وإن الكتاب والسلطان سيفـترقـان، فـدوروا مع الكتـاب حيث دار .

وسـتكون عليكم أئمـة إن أطعـتـمـوهم أضلوكم ، وإن عصيتموهم قتلوكم » .

قالوا : « كيف نصنع يارسول الله ؟ »

قال : « كونوا كأصحاب عيسى ، نصبوا على الخشب ونشروا بالمناشير. موت في طاعة خير من حياة في معصية » (١) .

وفى رواية أخري:

«خذوا العطاء مادام عطاء ، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ، ولستم بتاركيه ، يمنعكم الفقر والحاجة . ألا إن رحى

(١) أخرجه ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه .

الإسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب حيث دار . ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان ، فلا تفارقوا الكتاب . ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما يقضون ، إن عصيتموهم قتلوكم ، وإن أطعتموهم أضلوكم » .

قالوا : « يارسول الله كيف نصنع ؟ »

قال : « صنع أصحاب عيسى بن مريم ، نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب ؛ موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله . »(١)

فأول الأشياء إذن هو عدم طاعة هؤلاء الجبابرة في معصية الله، وإن تعرض المرء للأذى بسبب ذلك .

وثانيها ، عدم الرضا عن عملهم بالقلب .

وثالثها ، كما في الحديث القادم ، عدم مساعدتهم على ظلمهم بالعمل لحسابهم وخدمتهم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية والطبراني عن معاذ رضي الله عنه .

« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ليأتين على الناس زمان يكون عليكم أمراء سفهاء ، يقدمون شرار الناس ، ويظهرون حب خيارهم ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا خازنا ؟ » (٢).

وقال صلي الله عليه وآله وسلم :

« يكون في أخر الزمان أمراء ظلمة ، ووزراء فسقة ، وقضاة خونة ، وفقهاء كذبة ، فمن أدركهم فلا يكونن لهم

---

(١) أخرجه النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أبو يعلى وسعيد بن منصور في سننه عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما .

العريف : المسئول الكبير. والشرطي : معروف. والجابي: الذي يجمع الضرائب. والخازن: المسئول عن حفظ وتوزيع مافي الخزانة بأمر الحاكم.

عريفا ولا جابيا ولا خازنا ولا شرطياً » [١].

ورابعها ، النصيحة لهم إن أمكن وكان الناصح يطمع أن يُستمع له .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنما الدين النصيحة »

قالوا : « لمن يارسول الله ؟ »

قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [٢].

وسأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد وضع رجله في الغرز : « أي الجهاد أفضل ؟ » فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : « **كلمة حق عند سلطان جائر** » [٣].

وقال صلى الله عليه وآله سلم :

« إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد

---

(١) أخرجه الخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه مسلم والنسائي عن تميم الداري رضي الله عنه .
(٣) أخرجه النسائي عن طارق بن شهاب رضي الله عنه .

تُودع منهم » (١).

فإذا كان الحاكم ممن لا يخاف الله ، ولا يستمع النصيحة ، ويؤذي من ينصحه، ويضطهد من يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فماذا يكون العمل حينئذ ؟

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتُصلّون عليهم ويُصلّون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم » .

قالوا : « يارسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ »

قال : « **لا ما أقاموا فيكم الصلاة . ألا من وُليَ عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة »** (٢).

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، والطبراني عن جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يكون عليكم أمراء تطمئن إليهم القلوب وتلين لهم الجلود، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود » .

قيل : « أفلا نقاتلهم يارسول الله ؟ »

قال : « **لا ما أقاموا الصلاة !** » (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمع وأطع ولو لعبد حبشي مجدع الأنف » (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما

---

(١) أخرجه أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد والبخاري وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه .
(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه .

حملتم » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمع وأطع ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة » (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنما الإمام جُنة يُقَاتَل من ورائه ويُتقي به . فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا ، وإن أمر بغيره فإن عليه وزراً » (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لولا أنكم تسبّون أمرائكم لأرسل الله عليهم نارا فأهلكتهم، إنما يدفع الله بسبكم إياهم » (٤).

والحكمة من هذه الأوامر واضحة ، فإن الأمور ذاهبة إلى أسوأ لا محالة ، وكل فتنة أو هزة في نظام الحكم إنما تسرع بهذا

(١) أخرجه مسلم والترمذي عن وائل الحضرمي رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه .
(٣) أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

التدهور ، فالصبر على السلطان الجائر وعدم إحداث فتنة يختل بها النظام أقل الضررين ، فإن اختلال النظام لابد وأن يؤدي إلى ظهور من هم أكثر ظلماً وجوراً ، فإن الأرض لابد وأن تُملأ « **ظلماً وجورا** » كما في أحاديث الإمام المهدي الكثيرة ، وكل اختلال في النظام إنما يزيد من سرعة التدهور ولا يأتي بخير أبدا . وهذا بالطبع عكس مبدأ الخوارج الذين قتلوا سيدنا عثمان، رضي الله عنه ، ثم رفضوا إمارة سيدنا الإمام علي ، رضي الله عنه ، وخرجوا عليه ، وتمكنوا من اغتياله ، ولم يزالوا منذ ذلك الوقت مصدر فتنة وقلاقل في الأمة ، وذلك لجهلهم بهذه القواعد التي أرساها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وميلهم إلى العنف واتباع الهوى مع إدّعائهم أنهم أعلم من علماء الأمة وأنهم مصلحون ﴿ **ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ﴾.(١)

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٢

«ب» السبب الثاني من أسباب تدهور الأمة تناقص عدد العلماء العاملين وظهور الجهال والدجالين:

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبقِ عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضَلّوا وأَضَلّوا** » (١).

وقال صلي الله عليه وآله وسلم :

« **سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء ويقبض العلم ...** » (٢).

والقراء هم الذين يقرأون العلم ولا يعملون به ولا يفقهونه، وقد يكون المقصود بالقراء المثقفين الذين يقرأون كل شيء غير ذى فائدة ويتبعون الآراء والمذاهب المستوردة، أو الذين يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ويظنون أنهم هم المفلحون. وكثرة القراء

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه الطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يصحبها قبض العلم بقبض العلماء الصالحين الذين هم « ورثة الأنبياء » كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارا ولا درهما ولكن ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (١).

أما علماء السوء فهم الذين باعوا دينهم واشتروا به الدنيا فكانوا طوع إشارة الحكام، يحلون لهم الحرام، ويحرمون الحلال، وينكرون على العلماء العاملين. وعلماء السوء يقولون ولايفعلون، ويستحلون ما يحرمونه على الناس.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« من اقتراب الساعة إذا كثر خطباء منابركم، وركن علماؤكم إلى وُلاتكم، فأحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، فأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماؤكم ليُحلّوا به دنانيركم ودراهمكم، واتخذتم القرآن تجارة الحديث (٢).

(١) أخرجه الترمذي وابن النجار عن أنس وابن عدي عن علي رضي الله عنه وأخرج أبو داود نحوه.

(٢) أخرجه الديلمي عن علي رضي الله عنه.

وإذا قلّ عدد العلماء الصالحين صارت الساحة خالية ممن يدافع عن دين الله وظهر الدجالون الذين يزينون للناس المذاهب الفاسدة والبدع التى لم تكن فى إسلافهم، ومنهم من يتكلم بإسم الإسلام فيفسد على الناس دينهم، ومنهم من يتكلم بلسان الحضارة الغربية، يدعو الناس إلى قبول كل ما جاءت به دون تدبر ولا روية.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم** » . (١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالاً كذاباً** » . (٢)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم تسمعوا به أنتم وآباؤكم، فإياكم وإياهم** » . (٣)

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه.

«ج» أما السبب الثالث من أسباب التدهور ، فهو تقليد الأمم الكافرة تقليدا أعمى يذهب البركة من الأمة ويدرّ عليها اللعنات :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتتبعُن سنة من كان قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » .

قلنا : « يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ »

قال : « **فمن** ؟ » (١) .

والدخول في جحر الضب مثال ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غاية الجهل والسفه وطمس البصيرة ، أي إنهم سوف يقلدون اليهود والنصارى تقليدا أعمى ، بلا وعي ولا روية ، إلى هذه الدرجة التي تفوق الخيال ؛ وقد فعلوا !

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الأولين حتى

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه.

تأتيه » [١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتسلكن سنن من كان قبلكم حُذْوَ النعل بالنعل ، ولتأخذن بمثل أخذهم ، إن شبرا فشبر ، وإن ذراعا فذراع ، وإن باعا فباع ، حتى لو دخلوا جُحر ضب دخلتم فيه ... » [٢].

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبرا بشبرا ، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه » .

قالوا : « اليهود والنصارى ؟ »

قال : « **فمن ؟** » [٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتركبن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعا

---

(١) أخرجه الطبراني عن المستورد رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الحاكم.
(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنهم.

بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه » [(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ليحذون شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة » [(٢)].

[و القذة ريش السهم]

وهنا بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن المبادرين إلى اتباع هذا النهج هم شرار الأمة وهم الذين يبدأون بهذه التيارات الغربية التي لا يلبث الباقون أن ينجرفوا فيها .

وقد حدث هذا بالرغم من التحذيرات النبوية المشددة :

« ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لا تشبّهوا باليهود ولا بالنصارى ... » [(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه الطبراني عن شداد بن أوس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الترمذي عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

« ليس منا من عمل بسنة غيرنا » (١).

إن تقليد الأمم الاخرى في عاداتهم وتقاليدهم وانحطاطهم وهجر السنة المحمدية المطهرة لابد وأن يؤدي إلى كوارث لا نهاية لها.

وسوف نسوق الأحاديث الدالة على ذلك فيما بعد ، ويكفينا هنا أن نشير إلى سنة واحدة أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بنتيجة تركها حين قال :

« العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضعوا عزهم » (٢).

وفي رواية أخرى :

« العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمائم وضع الله عِزّهم » (٣).

وفي رواية أخرى :

---

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

« العمائم وقار للمؤمن وعز للعرب ، فإذا وضعت العرب عمائمها وضعت عزها » [(١)].

ولقد حدث ما أنذر به ، فإنه لم تترك العمائم فحسب ولكن ترك اللباس الإسلامي رأسا ، وكذلك الأداب النبوية في كل كبيرة وصغيرة من أمور الدنيا ، حتى صار الناس أعاجم ، أي «غربيين» ، في كل شيء ما عدا اللغة العربية التي لا زالوا ينطقون بها .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« االلهم لا يدركني زمان أو لا تدركوا زمانا لا يُتبع فيه العليم، ولا يُستحي فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم، ألسنتهم وألسنة العرب » [(٢)].

وفي رواية أخرى :

« يأتي على الناس زمان لا يُتبع فيه العالم ، ولا يُستحي فيه من الحليم ، ولا يوقر فيه الكبير ، ولا يُرحم فيه الصغير ، يقتل بعضهم بعضا على الدنيا ، قلوبهم قلوب الأعاجم ، وألسنتهم

---

(١) أخرجه الديلمي عن عمران بن حصين رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

ألسنة العرب ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا ، يمشي الصالح فيهم مستخفيا ، أولئك شرار خلق الله ولا ينظر الله اليهم يوم القيامة » (١).

فإن قلوب الناس اليوم ليس فيها إلا الإعجاب بالغرب في شتى مجالات حياتهم حتى المنحطة منها ممثلة في ذكر ممثليهم ومشاهيرهم ولاعبي كرة القدم ، والاهتمام بأغانيهم وكتبهم ومجلاتهم وشهاداتهم وآراءهم وفلسفاتهم وأزيائهم ،وهذا يجعل الناس بحق قلوبهم قلوب الأعاجم مع أنهم لا يزالون ينطقون بالعربية، وإن كان ذلك باللهجات العامية منها .

« د » فساد العامة :

وأخيرا إذا تحدثنا عن أحوال العامة، وهجرهم لسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم لهثا وراء الدنيا، فإن هذا أمر مشاهد لكل ذي علم وبصيرة . ولقد قارن المصطفى صلى الله

(١) أخرجه الديلمي عن علي رضي الله عنه.

عليه وآله وسلم بين أحوال القرون الأولى وبين المتأخرين فقال :

« إنكم في زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل ، من ترك عشر ما يعلم غوى ، سيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه ، من تمسك فيه بعُشر ما يعلم نجا ».(١)

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنا في زمن الخطباء فيه في كل مكان ، وقد اعتلوا منابر المساجد والمحافل والنوادى ومناسبات الأعياد والاحتفالات القومية والحزبية والانتخابية والنقابية ، وكثروا في البرلمان والتلفزيون والمدارس، أما العلماء فلم يعد لهم ظهور إلا في القليل النادر ، ولذلك فسد أكثر الناس، وفي مثل هذه البيئة لعل من تمسك بعشر ما يعلم ينطبق عليه الحديث الشريف.

ولقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا كانت أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خيرلكم من بطنها . وإذا

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه.

كانت أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » (١).

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لكل شئ إقبال وادبار ، وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة كلها بأسرها ، حتى لا يوجد فيها إلا الرجل الجافي أو الرجلان . وإن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة كلها بأسرها حتى لا يوجد فيها إلا الرجل الفقيه أو الرجلان ، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعوانا ولا أنصاراً » (٢).

حتى إذا شاعت الفوضى، وصار الناس جميعهم من حكام وفقهاء ومحكومين يتصرفون تصرف من لا عقل له، يعتدون على بعضهم البعض ويدعون أعداؤهم الكفار، كل منهم معجب برأيه وأفكاره ويتهم سائر الناس بأنهم لا يفقهون شيئاً، صاروا كما قال صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه ابن السني وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه.

« إن بين يدي الساعة الهرج -القتل- وما هو قتل الكفار ولكن قتل الأمة بعضها بعضاً، حتى ان الرجل يلقاه أخوه فيقتله. يُنتزع عقول أهل ذلك الزمان، وتخلف لها هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء» .[١]

***

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضى الله عنه.

(٥) مظاهر الفساد

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا اتخذ الفيء دولا ، والأمانة مغنما ،والزكاة مغرما ، وتُعُلِّمَ لغير دين ، وأطاع الرجل امرأتة وعقّ أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القيّنات والمعازف ، وشربت الخمور ولعن أخر هذه الأمة أولها ، فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا»[١].

ولقد اتخذت الأمانة مغنما أي أن كل من استُودِع أمانة استولى عليها ، ونفر الناس من الزكاة وتحايلوا على وضعها في غير محلها ، وتُعلّم لغير الدين بل للدنيا والمال والجاه ، وأطاع

---

(١) أخرجه الترمذي عن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما.

الرجل امرأته على حساب بره بوالدته ، كما هو الحال في الغرب حيث لايعتبر بر الوالدين أمراً ذا شأن وإنما الشأن كل الشأن في إرضاء الزوجة ، ووجد الشباب راحتهم مع أصدقائهم في النوادي وأماكن اللهو والمجون وفضلوهم على آبائهم ، وصار بينهم وبين آبائهم جفوة وتباعد، واتهموهم بالرجعية والتخلف، وكذلك سائر ما ذكر في الحديث واقع مشاهد من وجود زعماء سفلة ومغنيات وموسيقى وحانات الخمر العلنية المعترف بها من حكومات الدول بل وصناعة الخمور في هذه الدول ، ولعن الروافض للصحابة ، وكذلك كثرة الزلازل، والقذف بالصواريخ والقنابل ، والخسف، وهو اختفاء قرى كاملة في الأرض أثناء الزلازل.

ويصف صلى الله عليه وآله وسلم أنواعا من الناس لا تظهر إلا في آخر الزمان :

« صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمةالبخت المائلة ،

لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يكون في آخر الزمان رجال يركبون على المياثر حتى يأتون أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البُخت العجاف،[٢] إلعنوهن فإنهن ملعونات. لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمتهم نساؤكم كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم » .

قال ابن عمرو رضي الله عنهما « وقلت لأبي : وما المياثر؟ « قال : سروج عظام »[٣].

وفي رواية أخرى:

« سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البخت هي الإبل ، والعجاف : أي الهزيلة ، فإن أسنمة الإبل الهزيلة تكون مائلة إلي أحد الجانبين.

(٣) أخرجه أحمد والحاكم عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المساجد. نساؤهم كاسيات عـاريات علي رؤوسـهن كـأسنمـة البـخت العـجـاف، العنوهن فإنهن ملعونات».[١]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون في آخر الزمان نساء يركبن على سروج كأشباه الرجال ، ينزلون على باب المسجد ، كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، لو كانت وراءكم أمة من الأمم تخدمهُم نساؤكم كما يخدمكم نساء الأمم قبلكم »[٢] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا رأيتم اللاتي ألقين على رؤوسهن مثل أسنمة البُعْر فأعلموهن أنه لا تقبل لهن صلاة »[٣] .

وهذا وصف دقيق للغاية للسيارات التي هي المياثر يركبها

---

(١) أخرجه أحمد عن ابن عمرو رضى لله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبراني عن أبي شقرة رضي الله عنه.

الرجال والنساء ويصفونها على أبواب المساجد، ووصف دقيق لنساء اليوم اللاتي يتزين بزي الأعاجم، فإما يكون ذلك الزي شفافا، وإما يبرز مفاتن الجسم، فهن لا كاسيات ولا عاريات، وعلى رؤوسهن القبعات المائلة كأسنمة البخت أي الجمال .

ويفيد الحديث أن هذا غاية في التدهور لهذه الأمة إذ أنها وصلت لما وصلت اليه الأمم السابقة من الانهيار حينما باغتهم المسلمون واستولوا على بلادهم وصارت نساؤهم تخدمهم، فلو كان نبي بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم لكانت أمته أعادت الكرّة فغزت هذه الأمة بعد أن أصابها الانحطاط والفوضى، وانتصرت عليها واستذلتها، إلا أنه لا نبي بعده، صلى الله عليه وسلم.

ونوع آخر من الناس وصفه الحديث الشريف :

« يأتي على الناس زمان همهم بطونهم ، وشر همهم متاعهم ، وقبلتهم نساؤهم ، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم ، أولئك شر الخلق لاخلاق لهم »(١) .

---

(١) اخرجه أبو عبد الله السلمي عن علي رضي الله عنه.

وفي حديث آخر :

« إذا رأيت الناس قد مرِجَت عهودهم ، وخفّت أماناتهم ، وكانوا هكذا (وشبك بين أصابعه) فالزم بيتك، واملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرفه ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة »[١].

ولما سأل أبو ثعلبة الخشني النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾.[٢]

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« بل ائتمروا بالمعرف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ،وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العوام . وإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ،

---

(١) أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عمرو رضي الله عنه .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١٠٥ .

للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم » .

قالوا : « يارسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ »

قال : « لا ، بل أجر خمسين منكم ! » (١) .

فإذا صار الزمن كذلك فشا الربا بشكل لم يكن بالإمكان تخيله من قبل اختراع البنوك ، وإنها لمن معجزات النبي البينة صلى الله عليه وآله وسلم إذ أخبر بهذا بدقة ووضوح فقال :

« ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » (٢) .

فاليوم إن لم تكن تأكل فوائد البنوك فإنك لا محالة مصيبك غبارها، إذ أن التجارة والمعاملات المالية والإنشائية والصناعية والزراعية كلها تدور من خلال البنوك، وكذلك من خلالها تصل إلى الموظفين رواتبهم ومنهم علماء الأزهر وأئمة المساجد وقارئو القرآن ، فكيف الخلاص ؟ وأغلب الناس هذه الأيام لا يبالي إن

---

(١) أخرجه ابوداود والترمذي وابن ماجه .

(٢) أخرجه أبوداود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

كان المال من ربا أو من أي وجه آخر من الحرام كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام ؟** »[1].

والربا من أخطر الموبقات. وقد أنذر الله عز وجل الناس بحرب منه إن لم يتركوه فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾.[2]

والحرب من الله شئ خطيرة عواقبه وسوف نتناول هذه العواقب بالتفصيل فيما بعد .

وكذلك بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يحدث في سائر أمور الأمة، فإن العلماء يقلّون ، ومن سمّاهم بالرويبضة أي الجهلاء الذين تكون لهم الكلمة في الأمور العامة يكثرون، وتزداد

---

(١) أخرجه البخاري وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨٩ .

الفتن في كافة نواحي الحياة، ويكثر الزنا، وتسوء الأخلاق حتى تذهب الأمانة والصدق وصلة الرحم وحسن الجوار، ويطمس على بصيرة الناس فكلما جاءهم فاسق بنبأ صدقوه، وإذا تكلم فيهم الناصح الأمين كذبوه، ويكثر شرب الخمر، والشذوذ، وأصناف الموبقات.. ولندع الأحاديث الشريفة تتكلم وتخبرنا بهذه الأمور وغيرها مما هو حادث اليوم :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة** ».قيل : « وما الرويبضة ؟ » قال : « **الرجل التافه يتكلم في أمر العامة** »[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ، يظهر النفاق ، وترتفع الأمانة ، وتقبض الرحمة ، ويتهم الأمين ،**

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويُؤتمن غيـر الأمين . ناخ بكم الشُرُف الجون ، الفتن كـأمثـال الليل المظلم »(١).

(والشرف الجون هي الفتن المظلمة)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **إن من أشـراط السـاعـة أن يُرفع العلم ، ويكثـر الجـهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر** »(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **لا تقـوم السـاعـة حـتى يقـبض العلم، وتكثـر الزلازل، ويتـقـارب الزمـان، وتظهـر الفتن، وحـتى يتطاول الناس في البنيان**»(٣).

ومعنى « تظهر الفتن » أي أنها بعد أن كانت مستورة تصبح ظاهرة في كل مكان ، لا أنها لم تكن بالمرة ثم كانت. وكذلك

---

(١) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يظهر النفاق، وتظهر القينات والمعازف، أي تصبح منتشرة علانية بعد أن كانت نادرة مستخفية .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء ، ويُقبض العلم ، ويكثر الهرج ، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم ، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول »[١].

ومعنى هذا الحديث أن الفقهاء وهم العلماء العاملون المخلصون سيذهبون ، ويحل محلهم كثرة من القراء الذين تعلموا العلم للدنيا لا لله عز وجل ، ولذلك يُقبض أي يُرفع العلم من الأرض . والهرج: القتل . وقراءة القرآن بحيث لا يجاوز التراقي أي لا يتعدى الحلق إلى القلب ، أي باللسان فقط . أما مجادلة المشرك المؤمن بمثل ما يقول فيكون من المستشرقين الذين درسوا

(١) أخرجه الطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

القرآن والحديث بإيعاز من الكنيسة لمجادلة المسلمين بكلامهم وإيهامهم أن فيه أخطاء وتناقضات ، وقد ظهر هؤلاء بكثرة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قال إجمالا وتفصيلا .

ومن العلامات الأخرى المذكورة في الأحاديث :

« من اقتراب الساعة كثرة الطلاق وموت الفجاءة »(١) .

« سيأتي على الناس زمان يُخَيّر فيه الرجل بين العجز والفجور، فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور »(٢) .

والعجز هنا بمعنى أنه سوف يُدعى الرجل لمشاركة ذوي السلطة وآخرين في فجورهم ، فإن لم يشاركهم فلا يسعه إلا أن يقف موقف العاجز الذي يرى الفجور أمامه ولا يستطيع أمرا بمعروف ولانهيا عن منكر: فيكون قد اختار العجز علي الفجور.

---

(١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« كيف بكم أيها الناس إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم ؟ »

قالوا : « يارسول الله ، إن هذا لكائن ؟ »

قال : « **نعم !** »[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون الولد غيظا ، وأن يكون المطر قيظا ، وأن تفيض الأشرار فيضاً »[٢].

أن يكون الولد غيظا أي لا يأتي منه إلا شر، وهذا منتشر الآن بانتشار المخدرات والخمر والملاهي وسائر الموبقات . أما المطر فسوف يكون كثيرا ولكن ما ينبته من النبات قليل لقلة البركة. وأما فيض الأشرار فمعناه ظهورهم في الناس لكثرتهم.

ولما كان المال يفيض فيضا في آخر الزمان ، كما أخبر صلى

(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الله عليه وآله وسلم ، وتفتح الدنيا أبوابها ، « **وترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان** »(١) ، فإنه يكون نوع من الناس تظهر عليهم الرفاهية في إسراف ، ولا يكون همهم إلا بطونهم وفروجهم ، ويظهر فيهم كفر النعمة والبطر ، والتشاحن على متاع الدنيا ، والتباغض والتحاسد ، وتعدي كل منهم على أموال وممتلكات الآخر .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ، ويشربون ألوان الشراب ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي** »(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **سيصيب أمتي داء الأمم : الأشَرُ، والبَطَر ، والتكاثر ، والتشاحن في الدنيا ، والتباغض والتحاسد ، حتى**

---

(١) متفق عليه عن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه.

يكون البغي»(١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون في آخر أمتي أقوام يزخرفون مساجدهم ويخربون قلوبهم ، يتقي أحدهم على ثوبه ما لا يتقي على دينه، لا يبالي أحدهم إذا سلمت له دنياه ما كان من أمر دينه »(٢) .

ولما طلب الناس الدنيا على حساب دينهم ،وخافوا عليها ولم يخافوا من ربهم، تراجعوا عن الجهاد في سبيل الله ، حكاما ومحكومين .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« من أشراط الساعة سوء الجوار ، وقطيعة الأرحام ، وتعطيل السيف عن الجهاد ، وأن تختل الدنيا بالدين »(٣) .

---

(١) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه ابو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وظهرت الطامة الكبرى وهي الشذوذ الجنسي :

« من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء »(١) .

وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم أن حب الدنيا ونسيان الآخرة أصل كل شر ومفسدة فقال :

« ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن لكل شيء آفة تفسده ، وأعظم الآفات آفة تصيب أمتي حبهم الدنيا ، وحبهم الدينار والدرهم . يا أبا هريرة لا خير في كثير من جمعها ، إلا من سلطه الله عز وجل على هلكتها في الحق »(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه :

« أنتم الآن على بينة من ربكم ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتجاهدون في سبيل الله، ثم تظهر فيكم السكرتان : سكرة العيش وسكرة الجهل، وستحولون إلى غير

---

(١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك ، يفشو فيكم حب الدنيا ، فإذا كنتم كذلك لم تأمروا بمعروف ، ولم تنهوا عن منكر ، ولم تجاهدوا في سبيل الله ، والقائمون يومئذ بالكتاب والسنة والعلانية هم السابقون الأولون » (١).

وقد سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا « سكرة » ، ولا يكون حب الدنيا إلا مع الجهل، فالجهل إذن هو السكرة الأخرى .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول مرسلاً.

(٦) نتائج الفساد

إلى ماذا يؤدي حب الدنيا ؟

ليس إلا إلى المصائب والكوارث .

فإن حب الدنيا والبعد عن الدين و الفضائل والأخلاق يؤدي إلى انتشار المعاصي والموبقات ، واندثار محاسن الأعمال ، فعندما ينتشر الجهل ويُستهان بالعلم والعلماء، وتظهر الفواحش والظلم وتطفيف الكيل والميزان ، تزداد الفتن والكوارث الطبيعية والأمراض والحروب والقتل ، ويظهر الكفار على المسلمين ، ويستذلوهم ولايقاومهم المسلمون ولا يجاهدونهم ، ولكن يبغي بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر

الهــرج – أي القتل – »(١).

ان الكوارث الطبيعية مثل الزلازل تزداد ، وكذلك الرياح العنيفة المدمرة ويقال لها في الحديث الرياح الحمراء، ثم الخسف وهو ابتلاع الأرض ، والمسخ وهو تغيير خلقة الله وهو حادث الان على صورة التشوهات التي تحدث في الأجنة نتيجة للأدوية والإشعاعات الذرية وتلوث البيئة ، وأخبارها وصورها في الصحف ووسائل الإعلام .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء :

إذا كان المغنم دُوَلاً ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه ، وبرّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشُربت الخمور ، ولُبس الحرير ،

(١) أخرجه أحمد والبخاري وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

واتُخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أوخسفا أومسخا »[١] .

واتخاذ الأمانة مغنما يذكرنا بشركات توظيف الأموال وأنواع أخرى من المشروعات التي تُجمع فيها الأموال بقصد استثمارها ، ثم يُسافر بها أحدهم إلى الخارج فلا يعود ولا يبقى له أثر .

وإن سوء الأعمال والنيات من الأسباب المباشرة لجلب البلاء كالقحط والظلم وكساد الأسواق والهزيمة أمام الأعداء.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا أبغض المسلمون علماءهم ، وأظهروا عمارة أسواقهم، وتألبوا على جمع الدراهم ، رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاة الحكام ، والصولة من العدو »[٢] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) أخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الحاكم عن علي رضي الله عنه .

« ما سخط الله عز وجل على أمة إلا غلّا سعرها ، وأكسد أسواقها ، وأكثر فسادها ، واشتد جور سلطانها ؛ فعند ذلك لايزكي أغنياؤها ، ولا يعف سلطانها ، ولا يصلي فقراؤها »(١).

وهنا يجب علينا أن نقف وقفة نتدبر فيها معنى هذا الحديث، فنفهم أن غلاء الأسعار وتضخم العملات وكساد التجارات وظلم الحكام، وإن كانت له أسباب دنيوية معروفة، إلا أن السبب الأكبر الذي تتحرك به الأسباب الأخرى إنما هو سخط الله عز وجل. وعلى ذلك يبدأ العلاج بالسعي في رضا الله عز وجل، ثم الأخذ بالأسباب المعتادة بعد ذلك.

ويظهر ارتباط مثل هذه الأمور التى لا يُعلم إرتباطها ببعضها إلا عن طريق علوم الوحي كما في الأحاديث التالية:

« إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

« كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس ، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن :

ما ظهرت الفاحشة في قوم قط فعمل بها بينهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ،

وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم تمطروا ،

وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ،

ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض ما في أيديهم ،

وما عطلوا كتاب الله وسنة رسوله إلا جعل الله بأسهم بينهم »(١).

« خَمْسٌ بِخَمْسٍ : ما نقض قوم العهد إلاسلّط عليهم

(١) أخرجه ابن ماجه والبزار والبيهقي وصححه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما

عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال إلا منعــوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا حبسوا الزكاة إلا حُبس عنهم القَطْر »(١). (السنين : المجاعات).

ولقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كـمـا تداعى الأكلة إلى قصعتها »

فقال قائل : « من قلة نحن يومئذ ؟ »

فقال : « **بل أنتم يومئذ كثيرون ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن !** »

قيل : « وما الوهن يارسول الله ؟ »

قال : « **حب الدنيا وكراهة الموت** »(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد والبيهقي عن ثوبان رضي الله عنه.

وروى أحمد والطبراني عن أبي هريرة،رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لثوبان :

« كيف بك ياثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منها ؟ »

قال ثوبان : «بأبي أنت وأمي يارسول الله، أمن قلة بنا ؟»

قال : « **لا ، أنتم يومئذ كثير ، ولكن يُلقى في قلوبكم الوهن** ».

قال : « وما الوهن يارسول الله ؟ »

قال : « **حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت** »

لقد تبادر إلى أذهان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم أُسد الله ، أن هذا الذي وصفه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايمكنه أن يحدث إلا وهم قليل مستضعفون لقلتهم ، ولكنه بين لهم حدوث ذلك وهم كثير ولكن الأمة حينئذ تكون غثاء كغثاء السيل ، والغثاء هو الزبد الطافي فوق السيل، الحامل للقاذورات والنفايات ، فليس هو الماء الذي منه

الفائدة وبه القوة ، وليس هو حتى الزبد النظيف الخالي من النفايات . وما أكثرنا اليوم ، فنحن أكثر من ألف مليون مسلم ، ولكن ليس فينا من الرجال إلا القليل . ولماذا كانت الغالبية كغثاء السيل ؟ لأن في قلوبهم الوهن أي حب الدنيا وما يتبعه من كراهية الموت في سبيل الله .

ولماذا يجر حب الدنيا على الأمة هذه المصائب ؟

لأنه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلاذكر الله وما والاه ، وعالما أو متعلما »(١) .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو ذكر الله »(٢) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه .

ولكن كيف تكون الدنيا ملعونة وقد أمرنا الله أن نمشي في مناكبها ونأكل من رزقه، وقال الله تعالى :

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾(١).

إن الدنيا تكون ملعونة ان طلبت لذاتها ، ومن أجل الاستمتاع بشهواتها ، والاستغراق في ملذاتها ، وتتضاعف اللعنة إن كان المطلوب منها حراما، أو المال الذي ينفق فيها حراما. أما اذا كانت الدنيا مزرعة الأخرة، وأُخذت من حِلها، ووُضعت في محلها، فإ نها لا تكون عندئذ ملعونة .

ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما ابتُغي به وجه الله عز وجل »(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) سورة الأعراف آية ٣٢ .

(٢) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما كان منها لله عز وجل »(١) .

فإن الدنيا للمسلم رحلة سفر كلها تعب ونصب ، يرجو في نهايتها لقاء ربه عز وجل في أحسن حال، ولذلك كانت كما قال صلى لله عليه واله وسلم:

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له »(٣) .

فالدنيا دار من لا دار له في الجنة ، فتكون الدنيا كل متعته ولذته. ومال من لا مال له ، والمال هنا المقصود به الأعمال

---

(١) أخرجه ابو نعيم عن جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ، والحاكم والطبراني عن سلمان ، والبزار عن ابن عمر ، رضي الله عنهم .

(٣) أخرجه أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها .

الصالحة التي يقابل بها المرء ربه ، فإن من ليس له من صالح الأعمال شئ فكل ماله إنما هو هذا المال الدنيوي . ولها يجمع من لا عقل له ، فإن العقل هو الذي به يميز الإنسان الأشياء فيعرف فضل الآخرة على الدنيا ، والفرق بين الحلال والحرام ، وبين الفضيلة والرذيلة .

* * *

(٧) أسباب نزول اللعنات

إن طلب الدنيا والسُكر بها يجّر إلى المحرمات ، والمحرمات تجلب اللعنات. ولقد لعن الله الأمم السابقة حين نقضوا العهد وأفسدوا في الأرض. يقول المولى عز وجل :

﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (١) .

وعهد الله هو ما عاهد المؤمن عليه ربه حين رضي بالله رباً وبشرعه دينا من القيام بالواجبات والانتهاء عن المحرمات ، فلما لم يلتزموا بذلك وقطعوا ما كان يجب أن يوصل وأفسدوا في الأرض جعلهم الله ملعونين في الدنيا ولهم سوء الدار أي جهنم في الآخرة .

---

(١) سورة الرعد آية ٢٥ .

ومن الفساد في الأرض التي قد يؤدي إلى صب اللعنات على هذه الأمة كما صُبت على من قبلها الموبقات المذكورة في الأحاديث التالية :

« لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، ومانع الصدقة » (١).

« لعن الله آكل الربا ، وموكله ،وشاهديه، وكاتبه ، هم منه سواء » (٢).

« لعن الله الخمر، وعاصرها، وشاربها ،وساقيها ،وبائعها، ومبتاعها ،وحاملها ،والمحمولة اليه ،وآكل ثمنها . » (٣).

« لعنت الخمر على عشرة وجوه : لعنت الخمر بعينها ، وشاربها، وساقيها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبائعها ، ومبتاعها ، وآكل ثمنها . » (٤).

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد ومسلم عن جابر رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما .
(٤) أخرجه أحمد و البخاري ومسلم عن ابن عمر ،والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنهم .

« لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم » [(١)].

« لعن الله الراشي والمرتشي » [(٢)].

« لعنة الله على الراشي والمرتشي » [(٣)].

« لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » [(٤)].

« لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » [(٥)].

« لعن الله الرجلة من النساء » [(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه أبوداود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه أبوداود عن عائشة رضي الله عنها .

« لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » (١).

« لعن الله المحلل و المحلل له » (٢).

« لُعن عبد الدينار ولُعن عبدالدرهم » (٣).

« ملعون من سب أباه ، ملعون من سب أمه ، ملعون من ذبح لغير الله ، ملعون من غَيَّر تخوم الأرض ، ملعون من كمه أعمى عن الطريق ، ملعون من وقع على بهيمة ، ملعون من عمل بعمل قوم لوط » (٤).

« ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به » (٥).

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن علي ، والنسائي والترمذي عن ابن مسعود ، والترمذي عن جابر رضي الله عنهم .

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد عن ابن عباس ، والخطيب عن أبي هريرة ، وعبدالرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهم .

(٥) أخرجه الترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه .

وكذلك لُعنت الكاسيات العاريات صاحبات القبعات والتسريحات الحديثة .

فإذا صُبَّت اللعنات على الأمة التي كثرت فيها هذه المهلكات فمن أين تأتيها الرحمة ؟ ومن أين يأتيها النصر ؟ ومن أين لها البركة في الأرزاق وفي الأولاد وفي كل شيء ؟

يقول الله تعالى : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ...** ﴾ (١) .

فإن اللعنه هي الطرد من الرحمة ، والإبعاد عن عناية الله ورعايته ، والوقوع تحت غضب الله وعذابه ، فإذا لُعن قوم وبقي فيهم من الصالحين من يدعو لهم لم تكن من الله إجابة ، فإن الرحمات والبركات التي بها تمطر السماء من خيرها وتُخرج الأرض من أقواتها إنما هي مشروطة بالتقوى بعد الإيمان ، فإذا ذهبت التقوى ذهبت معها البركات وبقيت اللعنات .

---

(١) سورة الأعراف آية ٩٦ .

(٨) علامات هذا الزمان

بقي أن نرى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل لنا علامات نعرف بها بدون شك أن زمننا هذا هو بالفعل آخر الزمان ، وأن العلامات الكبرى على وشك الوقوع . وهنالك بالفعل أحاديث تشير إلى أشياء لم يكن من الممكن تخيلها لمن كان قبلنا ، فإن كثيرا مما مر من الأحاديث إنما تصف تفاقما لأوضاع بدأت تظهر بعد الخلافة الراشدة مباشرة ، ثم صارت في تزايد حتى أصبحت شائعة وعامة في زمننا هذا ، ولكن هناك أحاديث أخر لا تنطبق إلا على هذا الزمان ولقد أخبر عنها النبى صلي لله عليه وآله وسلم إجمالاً وتفصيلاً أما إجمالاً فبقوله:

« لا تقوم الساعة حتي تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم » .[١]

(١) أخرجه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير عن سمرة بن جندب رضي لله عنه.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاماً، تقولون هل كنا حُدثنا بهذا، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا انها أوائل الساعة ».[١]

وأما تفصيلاً فبمثل الأحاديث الآتية :

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كالضرمة بالنار »[٢].

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوى الأرض زيا »[٣].

وقد ورد لفظ تقارب الزمان في أحاديث أخرى كثيرة ،

---

(١) أخرجه البزار والطبراني فى الكبير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي عن أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

والزمان لا يتقارب إلا بوسائل المواصلات والاتصالات الحديثة التي تجعل السفر وقضاء المصالح يستغرق وقتا قصيرا جدا بالنسبة لما كان يستغرقه من قبل :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب ، وتتقارب الأسواق ، ويتقارب الزمان »[١] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، وحتى يتطاول الناس في البنيان »[٢] .

أما الفتن فما أكثرها ، فتن في الدنيا وفتن في الدين ، وفتن يجدها المرء المسلم يصدم بها في الشوارع والطرقات ، ويجابهها

---

(١) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني عن العداء بن خالد رضي الله عنه .

في المرافق ، وفي وسائل الإعلام ، وفي مجالات السياسة وكذلك الكذب اعتاده رؤساء الدول والوزراء ونواب المجالس النيابية، واعتادته وسائل الإعلام كلها ، والبائعون ، والمزارعون ، وطلبة المدارس والجامعات .

وأما تقارب الزمان فقد ذهبت مراحله الأولى التي فيها السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، وأصبحنا كما هو ملاحظ ومشهود في أيام تمر كالساعة ، وساعات تمر كضرمة النار، أي كسعفة الجريد إذا اشتعلت نارا فتوقدت دقائق قليلة ثم انطفأت .

وأما تقارب الأسواق فذلك أيضا مشاهد في كل مكان ، فقد ذهب الزمن الذي كان فيه السوق في مكان معين من البلدة ، وفي يوم معين من الأسبوع ، وأصبحت المدن الآن شوارعها كلها سوق واحدة متصلة بعضها ببعض ، ويسير الإنسان فيها من أول المدينة إلى آخرها بين الدكاكين ولافتات الدعاية وكذلك تقاربت الأسواق عالميا بحيث صار استيراد البضائع وتصديرها والتعرف على

الجديد من المخترعات يستغرق أياما قليلة بل ساعات لسرعة وسائل النقل والاتصال. وتقارب الأسواق يعني كثرتها ، وذلك يعني كسادها .

ومن العلامات أن هذه الأمة التي لم تكن تترك السلام أصبحت الآن وكل إنسان فيها لا يسلّم إلا على من يعرفه لتباعد قلوبهم وتنافرها . وهذا شئ لم يزدد وينتشر إلا في السنوات الأخيرة ، فقد أدركنا أوقاتا وبلادا كان لابد فيها لكل مسلم أن يسلم على من يعرف ومن لا يعرف إذا تواجهوا في الشوارع وغيرها .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« بين يدي الساعة تسليم الخاصة ، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة »[١] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى لا يسلم الرجل إلا على من يعرف ،

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وحتى تتخذ المساجد طرقا ، وحتى تتجر المرأة وزوجها »(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة ، وحتى تتخذ المساجد طرقا فلا يسجد لله فيها ، وحتى يبعث الغلام الشيخ بريدا بين الأفقين ، وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين لا يجد ربحاً »(٢) .

ومن العلامات التي تتحدث عنها هذه الأحاديث أن الرجل سوف يستعين بزوجته في التجارة أي تقف معه أو بدلا منه في الدكان ، وهذا شئ كان لا يكاد يصدق في أمة كانت النساء فيها محفوظات عن الاختلاط، وعن أعين الغرباء، فأصبحت الأمة بتقليدها للنصارى واليهود تبيح الاختلاط، ووقفت النساء في الدكاكين تبيع وتشتري وتعمل كعمل الرجال .

وأما السفر بين الأفقين فإنما هو إشارة إلى الطائرات التي

---

(١) أخرجه الطبراني عن العداء بن خالد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

تنقل الركاب من الأفق إلى الأفق في ساعات قليلة ، فيسافر التاجر من أفق إلى أفق ويأتي ببضاعة لا تحقق له ربحاً.

ومن العلامات ظهور من يتكلم في أمور لم يكن يتكلم فيها من قبلنا من أيديولوجيات مستوردة ، وأفكار مستوحاة من الغرب، مثل نظرية التطور لداروين ، ونظرية العقل الباطن لفرويد ، والنظريات الاجتماعية والاقتصادية التي افتتن بها المثقفون من الأمة وحاولوا تطويع الإسلام لتأييدها ، بينما الإسلام منها بريء .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم تسمعوا به أنتم وآباؤكم ، فإياكم وإياهم »(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« بادروا بالأعمال ستا :

إمارة السفهاء ، وكثرة الشُرَط ، وبيع الحكم ، واستخفافا بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير ، يُقَدمون

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أحدهم ليُغنّيهم وإن كان أقلهم فقها »[1].

ومن العلامات أن الصالحين من الناس يتجنبون مواقع المسئولية ويتركون غيرهم يتنافسون ويتقاتلون عليها بالأساليب الشريفة والغير شريفة، فلا تجد في أغلب مواقع المسئولية إلا من هو سيء الخلق ، لا يجتنب الحرام ، ويشتري دنياه بدينه .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[2].

ويدل على أن أعمال الأمة ساءت أنهم فعلا يصرفون المبالغ الطائلة على زخرفة مساجدهم ، وكأن الزخرفة الظاهرية للمساجد تصلح القلوب وتدخل الجنة، والأمر عكس ذلك تماما ، فإنما هو دليل على فساد قلوبهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم»[3].

(١) أخرجه الطبراني عن عباس الغفاري رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ومن العلم الذي بثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة ولم يكن ليفهم حتى هذه الأيام ليكون عليها دليلا وحجة الحديث الآتي :

« إن من أشراط الساعه أن ينتشر المال ويكثر، وتفشو التجارة ، ويظهر العلم ، ويبيع الرجل البيع فيقول : لا حتى أستأمر تاجر بني فلان ، ويُلتمس في الحي الحطيم الكاتب فلا يوجد »(١).

فإن هذة الأشياء فشت في الأمة فعلا في العشرين سنة الأخيرة ، المال والتجارة والجهل ، أما العلم الذي ذكر أنه يظهر فقد يُفهم منه أنه العلم الديني المبثوث في وسائل الإعلام والذي يقرأه ويسمعه الناس ولكن دون فهم ولا قبول ولا تطبيق عملي، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن لله تعالى قال: أبث العلم في آخر الزمان حتى يعلمه

(١) أخرجه النسائي عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه .

الرجل والمرأة، ووالعبد والحر، والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقي عليهم».(١)

وقد يُفهم منه أنه العلم بالدنيا الذي هو أدنى درجات العلم، وهو علم التكنولوجيا ورسائل الماجستير والدكتوراه الذي أُعطي الصدارة هذه الأيام، وقُدِّم على علوم الآخرة . وهذا العلم لا يكون علما نافعاً إلا إنْ ظل محكوما بعلوم الوحي، خاضعاً لها، فلا يطغى ولا يصير فساداً فى الأرض، وإلا فإنما هو جهل كما قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن من البيان سحراً، وإن من العلم جهلاً.. الحديث».(٢)

أما العلم النافع مطلقاً فهو الذي قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) ذكره العلامة الغماري في كتابه : «مطابقة الإختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية». وقال أخرجه الدارمي وأبو نعيم فى الحلية عن أبي الزاهرية يرفعه.

(٢) أخرجه أبو داود عن بريدة رضي الله عنه.

« إن من أشراط الساعة أن يُقبض العلم ، ويظهر القلم ، وتفشو التجارة »[١].

فظهور القلم يصحبه قبض أو رفع هذا العلم وزيادة الجهل المصاحب لزيادة العلوم المادية الدنيوية وانشغال الناس عنه بالتجارة، أى بالدنيا.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل، ويُرفع العلم».[٢]

ولقد قال الله تعالى فيمن يُقدم علم الدنيا على علم الآخرة: ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[٣].

ولما كان عكس الموازين يستوجب مقت الله ، قال صلى الله

---

(١) أخرجه الطبراني عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) سورة الروم آية ٧ .

عليه وآله وسلم :

« إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة »(١).

وأما عن ظهور القلم فإنه من علامات هذا الزمان إذ أنه لم يكن يحمل الأقلام فيما مضى إلا طلبة العلم وكان عليهم تحضير الحبر في الدواة وتجهيز الأقلام ، أما الأن ، كما هو مشاهد، فالكل يكتب، والأقلام في جيوب الناس بأجمعهم. وقد كان يُظن أن يكون القلم أداة للعلم ، فإذا هو أداة للجهل ، ولذلك ذُكر في الحديث بعد ذكر قبض العلم . وارتفاع العلم وظهور الجهل يصحبهما أشياء بعضها مذكور فى الحديث الآتـى:

« إن من علامات البلاء وأشرطة الساعة أن تَعْزُبُ العقول، وتَنقُص الأحلام ، ويكثر القتل ، وترفع علامات الخير،

(١) أخرجه الحاكم في تاريخه والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وتظهر الفتن »[١]. أي أن الناس ينقص عندها العقل والقدرة على التفكير، فيسهل الاستخفاف بعقولهم بواسطة بالأفكار الزائفة والحظوظ الفانية.

ومن العلامات الواضحة هجرة أهل المدينة المنورة منها إلى غيرها حينما تدفقت أموال البترول من حقول الخليج، وسعيهم وراء المشاريع التجارية والصناعية وغيرها ، بالرغم من نصيحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم بعدم تركها حين قال:

« **يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه : هلم إلى الرخاء ، هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه ، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث. لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد** »[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يظهر من هذا أننا فعلا أصبحنا منذ فترة في هذا الزمان السيىء الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد اتضحت الرؤية في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي حين أدى التطور الكبير في جميع وسائل الاتصالات إلي تحرك الأحداث السياسية والاجتماعية بسرعة خيالية ، فأصبح الحدث الذي كان يستغرق شهورا فيما مضى يستغرق ساعات ، وينتقل خبره بسرعة البرق من مشارق الأرض إلى مغاربها ، كما زادت الفوضى السياسية على الصعيد الدولي، وزاد القتل الجماعي ، والإرهاب الدولي ، كما أدى التطور التكنولوجي إلى تلوث الأراضي والبحار والأجواء ، وحتى الفضاء الخارجي . قال تعالى:

﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾(١).

---

(١) سورة الروم ، آية : ٤١ .

(٩) العلامات الكبرى

الحاصل من ذلك كله أن الأرض ملئت ظلما وجورا ، ولم يبق إلا أن يشتد الأمر قليلا حتى يبعث الله الإمام المهدي فيملؤها عدلا ، فلم يبق إلا العلامات السابقة لظهور الإمام المهدي وهي ظهور الطاغية السفياني بالشام وما يتبع ذلك من الحروب والمذابح، ثم ظهور الرايات السود من خراسان .

وقد أخرج ابن ماجه وأبو نعيم وابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بني هاشم ، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه فقلت : ما نزال نرى في وجهك شيئا تكرهه ؟ فقال :

« إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا ، حتى يأتي قوم من

قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه ، فيقاتلون فيُنصرون ، فيُعطون ما سألوا فلا يقبلونه ، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملأها قسطا كما ملؤوها جورا ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج ، فإنه المهدي » .

وفي أيام المهدي تحدث الملاحم ، ويخرج الدجال ، وينزل سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله بباب لُدّ، أي قريبا من تل أبيب، ثم تأتي جحافل يأجوج ومأجوج ، ثم يسود الأمان الأرض مدة من الزمان ، ثم تبدأ الأمور في التدهور ثانية حتى يصير الأمر إلى الحضيض ، ويذهب الإيمان ، ولا يبقى إلا شرار الناس ، وهم الذين تظهر عليهم سائر العلامات الكبرى من خروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وهم الذين تقوم عليهم الساعة حين ينفخ في الصور فيُصعق جميع من عليها .

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« إقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصا ،

ولا يزدادون من الله إلا بعداً »(١) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« **اقتربت الساعة ولا تزداد منهم إلا قربا** »(٢) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« **خيار أمتي أولها ، وآخرها نهج أعوج ليسوا مني ولست منهم** »(٣) .

هكذا يتبرأ منهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فماهم إلا كما قال :

« **لا تقوم الساعة إلا على شرار أمتي** »(٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا اسمه يتسمون به وهم أبعد الناس منه،**

(١) أخرجه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه .
(٢) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الطبراني عن عبدالله بن السعدي رضي الله عنه .
(٤) أخرجه مسلم وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه .

مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء ، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود »[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيأتي على الناس زمان يصلي في المسجد منهم ألف رجل وزيادة لا يكون فيهم مؤمن »[(٢)].

***

---

(١) أخرجه الحاكم في تاريخه عن ابن عمر والديلمي عن معاذ رضي الله عنهم .

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(١٠) التحصن من الفتن

ولكن قبل هذا ، قبل انحطاط الأمة إلى هذا الحد أحداث وأحداث، فإن جاءت الفتن المخيفة المظلمة التي من أهلكته أدخلته جهنم خالدا فيها فكيف يكون الأمر ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف ، فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل »(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي »

قيل : « أفرأيت يارسول الله ، إن دخل عليّ بيتي وبسط إلى يده ليقتلني ؟ »

---

(١) أخرجه الحاكم عن خالد بن عرقطة رضي الله عنه .

قال : « كن كابن آدم . »(١)

والحاصل من هذا الحديث أن الأمور ستكون مضطربة ، لايُعرف الحق فيها من الباطل ، وكل من أراد أن يفعل شيئا لدفع هذه الفتن لا يزيدها إلا اضطراما ، ولذلك كان الساكن فيها خيراً من المتحرك ، والمقتول فيها ، أي الذي هو كهابيل ابن آدم ، خيراً من القاتل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون فتنة صماء بكماء عمياء ، من أشرف لها استشرفت له ، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف »(٢) .

فما العصمة من هذه الفتن ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ، إلا من أحياه الله بالعلم »(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن سعد رضي الله عنه

(٢) أخرجه أبوداود عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه .

هذه الفتنة أو الفتن التي يكون اللسان فيها هو سلاح الإهلاك هي التي يصبح الرجل فيها مؤمنا فيقنعه آخر بلسانه بالكفر أو الشرك أو بيع دينه بدنياه ، ولا بد للسان لكي يحقق هذه الأشياء من وسائل الاعلام الحديثة لكي ينتقل الحديث الفتان من مشارق الأرض إلى مغاربها في لحظات ، وهذا ظاهر جلي في أيامنا هذه ويزداد ظهورا حتى إذا وقعت فتنة الدجّال تصل هذه الأمور إلى ذروتها. والعصمة من هذه المخاطر كما يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إنما هي بالعلم !

العلم الذي يميز به الإنسان الحق من الباطل ، ويعرف به الدجّال من المهدي أو من نبي الله عيسي عليهما السلام ، ويعرف فضل الآخرة على الدنيا فلا يفتتن بها ، ويعرف الحلال من الحرام ، ويعرف كذب النظريات الغربية في علم التطور ، وعلم النفس ، وسائر العلوم التي قلبوا فيها الموازين فجعلوا الحق باطلا والباطل حقا ، تمهيدا لوصول سيدهم الدجال . هذا العلم الذي جاء به سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم إجمالا وتفصيلا ، وأعرض عنه المسلمون هذه الأيام فأصبحوا جهلاء يتلاعب

بعقولهم الرويبضة .

وهذا العلم ليس هو العلم الذي يبثُّه الرويبضة في الصحف والمجلات والإذاعه والتلفزيون ولكنه علم الكتاب والسنة .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنها ستكون فتنة »

قيل « فما المخرج منها ؟»

قال : « كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغي الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولايَخلق عن الرد ، ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته عن أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم »[١] .

---

(١) أخرجه الترمذي والبيهقي عن علي بن محمد بن نصر ، والطبراني عن معاذ رضي الله عنهم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله حبل ممدود مابين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما »(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ، كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض »(٣).

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

إن العلم إذن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والفهم لهذا العلم والقدرة على تأويله وبيانه للناس بما يناسب العصور إنما هو من أسرار أهل البيت النبوي المطهر ، فإن السنة مفسرة للقرآن، وأهل البيت مستودع لهذا العلم، ولذلك فإنهم مع القرآن عبر الأزمنه حتى يردا على حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة .

فمن تمسك بما بيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجنب الوقوع في الفتن والإصغاء إلى دعاة الضلال الذين يتكلمون بالقرآن والسنة ويتأولونهما بما يوافق أهوائهم ليضلوا الناس، ويأتون بالأدلة في غير محلها ، ويلبسون الأمور على العامة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان »(١).

---

(١) أخرجه ابن عدي عن عمر رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« **أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون** »(١) .

ومما ابتليت به هذه الأمة في آخر الزمان هؤلاء الذين يرمون الناس بالشرك يمينا وشمالا ، حتى صارت هذه الكلمة الشنيعة على ألسنتهم أسهل من إلقاء السلام ، وذلك مع قول رسول الله عليه وآله وسلم فيهم وفي أمثالهم :

« **هلك المتنطعون** »(٢) .

والمتنطعون هم المتشددون في الدين بغير علم ولا أدب وقد أمرهم صلى الله عليه وآله وسلم بغير ذلك حين قال :

« **إياكم والغُلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدين** »(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو نعيم عن عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

كما حذرهم صلى الله عليه وآله وسلم أنه :

« إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما »(١).

ومع تأكيده صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يخاف على أمته الشرك ،لكن يخاف تكالبهم على الدنيا، وتنافسهم عليها ، وتقاتلهم علي حطامها ، حتى توقعهم في المهالك والمحرمات .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني فَرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة . إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من قبلكم »(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني بين أيديكم فَرَطٌ لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإن

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .
وايلة هي القدس ، أما الجحفة فقرية على ساحل البحر الأحمر بالقرب من رابغ.

موعدكم الحوض، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها»(١) .

هكذا أكّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن الشرك بالله ليس مما يخافه على أمته ولكنه يخاف عليهم من فتن الدنيا والهوى ، وكذلك أكّد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يخاف أن تعبد امته الشيطان ولكنه يخاف من غوايته لهم فيما دون الكفر والشرك فقال صلى الله عليه واله وسلم :

« يا أيها الناس ، أيُّ يوم أحْرَمُ ، أي يوم أحرم ، أي يوم أحرم ؟ »

قالوا : « يوم الحج الأكبر » .

قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا . ألا ولا يجن جان على نفسه ، ألا ولا يجن والد على ولده .

---

(١) متفق عليه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

ألا إن الشيطان قد أيس أن يُعبد في بلدكم هذا أبدا ، ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تستحقرون من أعمالكم فيرضى بها، ... الحديث »[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم »[(٢)].

وقد حَّرش الشيطان بينهم أي تحريش ، وقامت بينهم حروب ومعارك استحلت فيها الدماء والأموال والأعراض، ولا تزال الأمور بينهم في توتر دائم ، وعبدوا الجاه والدرهم والدينار ونسوا الله ، وأصبح الرجل الصالح فيهم غريبا مستوحشا لا حول له ولا قوة .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنها ستكون فتن لا يستطيع المؤمن أن يُغيّر فيها بيد

---

(١) أخرجه الترمذي عن عمر بن سلمة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

ولابلسان » .

قيل : « يا رسول الله هل ينقص ذلك من إيمانهم ؟ » .

قال : « **لا ، إلا كما ينقص القطر من السِّقاء** »

قيل : « ولم ذاك ؟ »

قال : « **يكرهونه بقلوبهم** »(١) .

و إن مما يورده مُحبّي تكفير المسلمين تلك الأحاديث التي تنبيء بارتداد البشر عن الإيمان إلى الشرك ، وليس هذا الاستدلال في محله فإن هذه الأحداث إنما هي بعد ظهور المهدي والدجال وسيدنا عيسى ويأجوج ومأجوج ، وقبل قيام الساعة بفترة وجيزة ، حيث لا يبقى على وجه الأرض أحد يقول : لا إله إلا الله، وليس ذلك الان حيث يوجد على الأرض مئات الملايين من الموحدين . نعم إنهم بعدوا عن الدين وفسق منهم الكثير ولكن بين ذلك وبين رميهم بالشرك بون بعيد ، وبُعد الناس عن الدين إنما سببه حبهم للدنيا كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنك لترى

---

(١) أخرجه الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

أكثرهم تكالبا على الدنيا و على العمائر الفارهة والسيارات الفاخرة ما هم إلا أولئك الذين يرمونهم بالشرك ظلما وبهتانا ، ويقلبون لهم موازين الأمور ؛ وما هذا إلا نوعا من الدجل يسبق ظهور الدجال الأكبر .

* * *

(١١) الخاتمة

لما خلق الله سيدنا آدم عليه السلام جعله نبيا ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعله في الجنة التي لايجوع فيها ولا يظمأ ، ولا يتعب فيها ولا يعرى ، ثم أنزله إلى الأرض ، فكان ذلك بداية النزول الذي كتب عليه وعلى ذريته أن يستمروا فيه ، حتى إذا قامت الساعة قامت على شرار الناس ، أي على كافر ابن كافر، وليس على الأرض يومئذ من يقول : « الله ! »

وخُلق سيدنا آدم عليه السلام على الفطرة ، وكلما بَعُد الإنسان عن الفطرة بَعُد عن الميزان الذي وضعه الحق سبحانه وتعالى للأشياء ، وهو النظام والانسجام والصفاء، وزادت فيه وفيما حوله أضدادها وهي النشاز والتشويش .

قال تعالى :

﴿ والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، في جنات النعيم ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾(١) .

فالمقربون الذين هم على الفطرة كانوا هم الأكثرية في أول الزمان ، وكان الاستثناء أمثال قابيل قاتل أخيه . ولم يزل الجنس البشري في هبوط منذ أُهبط أبوهم آدم حتى كان زمن سيدنا نوح عليه السلام فظهر لأول مرة على وجه الأرض الكفر ، فإن في الأثر أن أول نبي بعث إلى قوم كفروا كان نوحا عليه السلام ، أما من قبله من الأنبياء والرسل عليهم السلام فكانوا يُرسلون إلى أقوام انحرفوا عن الصراط المستقيم ، ولكنها كانت انحرافات لم تبلغ مبلغ الكفر، ولم يزل الشر يزداد والخير يقل منذ ذلك الزمن فيأتي الرسول أو النبي فيتوقف التدهور ويظهر نور الإيمان وينتشر الخير ، ثم لا يلبث بعد وفاة ذلك النبي أن يبدأ التدهور ثانية حتى ينتهي الأمر ، بعد ظهور البدع والانحرافات ، إلى انتهاء هذا

---

(١) سورة الواقعة آية ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤

الدين، حتى لا يبقى له ذكر ، أو إلى نسخه بشريعة جديدة يأتي بها رسول جديد .

لذلك فإن كل أمة من الأمم ، ما عدا الأمم التي دعا عليها أنبياؤها بالدمار كأمثال عاد وثمود ، تبدأ بوجود نبيها ، فيكون فيها كثرة من السابقين المقربين وقلة من ضعاف الإيمان والمنافقين ، ثم يمر عليها الزمان فيقل المقربون وتزداد الحثالة التي هى كحثالة التمر أو الشعير . وهكذا تكون بداية ونهاية كل أمة إنما هي صورة مصغرة لبداية الجنس البشري بأكمله . وكذلك في داخل كل أمة يبعث الله لهم كل حين من يجدد لهم دينهم ، فَتقِلّ سرعة التدهور برهة بسبب هؤلاء المجددين، ثم لا تلبث أن تزداد ثانية حتى خروج المجدد التالي ؛ فهذه الأمور تعيد بصورة أصغر ما يحدث للبشرية ككل ، ولكل دين على حدة .

والسابقون المقربون هم الذين تكون أرواحهم قوية، وتكون نفوسهم وأجسادهم خاضعة لها، فهم في نظام وانسجام داخلي، ليس فيهم شيء يكدر صفوهم ويشوش عليهم . وكذلك تكون

دنياهم كلها بركة ، فالأرض تخرج زرعها رغدا وبمجهود قليل ، والأمراض قليلة ، والأعمار طويلة ، وليس بين البشر وبعضهم إلا الود والتآلف والتراحم ، فالبيئة مستقر فيها النظام ، والأوضاع الاجتماعية منتشر فيها الوئام، على ما يُرضي الله من صلة أرحام ، وحسن جوار ، وعطف القوي على الضعيف ، والمكثر على المقل.

ثم مع تدهور الزمان تزداد الفوضى ويقل النظام ، ويختل ميزان الأمور الظاهرة والباطنة ، ولا يزال الخلل في ازدياد حتى يصل إلى ذروته عند قيام الساعة ، فيختل نظام الكواكب فتخرج عن مداراتها ، ويختل نظام الأرض فتفور البحار وتزول الجبال وتعم الفوضى كل شيء ، حتى إذا وصلت الفوضى إلى ذروتها أعادت يد القدرة النظام ، فتُبدّل الأرض غير الأرض، وحينئذ يحدث البعث والنشور، وتبدأ أحداث يوم القيامة وتستمر حتي تبلغ غايتها فيظهر نظام آخر يُفرّق فيه بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، فيوضع الخير كله في الجنة ، ويوضع الشر كله في النار ، بعد أن كانا في الدنيا متداخلين .

وقد بدأت هذه الأمة بالخير كله ، والنور ، والاستقامة، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« خير الناس قرني ... الحديث »

ولقد كانت بذور التدهور موجودة منذ ذلك الحين ، في شخص المنافقين والمرتدين ، وما هذا إلا الهجوم المضاد لقوى الشر السفلية لإعاقة انتشار النور ، وما هي إلا امتداد للحرب التي شنها إبليس على أبينا آدم ، وكان من أطوارها اشتراك الشيطان على هيئة شيخ كبير في مؤتمر قريش الذي عقد لتدبير كيفية القضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته ، ومن أطوارها ظهور الدجاجلة والمبتدعة وأهل الأهواء وعُباد الدينار والدرهم . فإذن الأمر في تباعد عن النظام وفي ازدياد من الفوضى ، حتى إذا ملئت ظلما وجورا بعث الله أولى العلامات الكبرى وهي المهدي عليه السلام .

فكيف يكون هذا حال الأمة من التدني والفساد والله تعالى يقول في القرآن : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون**

بالمعـروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [(١)]. والمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يقـول : « **أنتم توفـون سبعين أمـة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل** » [(٢)].

إن هذه الخيرية إنما هي بسبب انتماء هذه الأمة لخير البشر صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان خير القرون القرن الذي هو فيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالـــــى : **﴿ كنتم خـير أمة أخرجت للناس ﴾** : « هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ». ولفظ أمة قد يدل علي جماعة معينة من الناس، قال تعالي: **﴿ ولتكن منكم أمـة يدعـون إلى الخيـر ويأمـرون بالمعـروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾** [(٣)]، وقال بعض المفسرين : هم خاصة الصحابة. هذا فى القرن الأول، أما فيما بعد ذلك فالمفهوم أنهم

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٠٤ .

أولئك الذين تصدوا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبث العلوم الشرعية في الأمة، فأولئك هم خير أمة أخرجت للناس. وهم الذين تظل خيرية هذه الأمة منوطة بهم وهم الذين قال عنهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة » (١).

وروى ابن كثير في تفسيره أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ﴿ **كنتم خير أمة** ﴾ في خطبة له في الحج ثم قال : « من سره أن يكون مِن هذه الأمة فلْيؤدِّ شرط الله فيها» . يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما أهل الكتاب فاستحقوا اللعنة على لسان أنبيائهم لتركهم هذه الشعيرة. قال الله تعالى : ﴿ **لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون٠ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾ (٢).

---

(١) أخرجه الحاكم والدارمي والبخاري فى تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٨.

إن هذه الأمة خير الأمم لأن قائدها خير خلق الله أجمعين، صلى الله عليه وآله وسلم، ولأن جيل الصحابة لايدانيه جيل ظهر على وجه الأرض، إذ أنهم خير القرون، ولأن دأب خيار الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأن هذه الشعيرة باقية في فئة منهم، مهما قلّت، إلى يوم القيامة.

وهذا لايمنع من أن يظهر في آخرين من الأمة الفساد والفوضى.

يقول ابن كثير في تفسيره : « لما نزلت ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾[1] ، وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مايبكيك ؟ » قال : « أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمل شئ إلا نقص » . فقال : « صدقت ! »

(١) سورة المائدة ، آية : ٣ .

هكذا فهم سيدنا عمر رضي الله عنه أنه بعد الوصول إلى القمة فما ثم إلا الهبوط.

وإذا عدنا الآن إلى الحديث الذي يصف الدنيا في آخر الزمان بأنها ملئت ظلما وجورا لوجدنا أن معناه عموم الفوضى في جميع نواحي الحياة .

فمن مظاهر الفوضى السياسية : أن الكتاب والسلطان سيفترقان ، فيحكم الحكام بغير الشريعة المحمدية ، ويكون لهم بطانة سوء تزين لهم الظلم والطغيان ، والاستيلاء على أموال الناس ، والكذب عليهم بالتصريحات المُنَمقة.

ويتقاتل أمثال هؤلاء على الحكم فتكثر الانقلابات والصراعات الداخلية ، ويحبون السلطة للسلطة والدنيا والشهوات ، فيصيبهم الجبن والخوف وكراهة الموت والرغبة في الاحتفاظ بالسلطة بأي ثمن ، فيعطلون السيف عن الجهاد ، ويكون بأسهم بينهم ، وينهزمون أمام الكفار في كل موقعة

ومن مظاهر الفوضى الدينية : أن العلم الديني يقبض فيقل

العلماء العاملون ، ويكثر من يتعلم العلم للدنيا ولمداهنة الحكام ، وإذا ذُكر العلم لم يُقصد به إلا العلم الدنيوي ، والعلم الدنيوي يخدم الجسم بينما العلم الديني يخدم الروح ، فالعلم الديني دائما مقدم ، ولكنه في آخر الزمان يُهمل، ولا يُحترم من يحمله من العلماء ، ولا يُسمع لهم ، ويفتي كل ذي جهل في الدين ، أي يتكلم الرويبضة، الذين هم الجهلاء الذين يسمحون لأنفسهم بالفتوى في كل أمر جسيم ، فيملأون وسائل الإعلام جهلا وتضليلا ، فحينئذ :

« **يُكذّب الصادق ويُصدق الكاذب** » ويفشو « **إعجاب كل ذي رأي برأيه** » ، ويظهر أناس « **همهم بطونهم ، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم ، وقبلتهم نساؤهم ، يأكلون أنواع الطعام، ويشربون ألوان الشراب ، ويلبسون أنواع الثياب ، ويتشدقون في الكلام** »، « **ويفشو القلم** »، أي ينتشر انتشارا كبيرا ، وهو وإن كان وسيلة علم إلا أنه يصحبه زياده في الجهل . ويزخرف الناس مساجدهم وقلوبهم خربة ، أي يهتمون بالظاهر ويهملون

الباطن ، أي يعكسون ترتيب الأولويات ، ولا يزال هذا الأمر في زيادة حتى يصلي الكثير وليس في قلب أحدهم شيء من الإيمان.

ومن مظاهر الفوضى الاجتماعية : أن لا يوقر الصغير الكبير ولا يرحم الكبير الصغير ، وتتقطع الأرحام ويفشو سوء الجوار في البيوت وفي الشوارع وفي أماكن العمل ، ويصبح الولد غيظا أي يكون عاقا يفضل أصدقاءه على والديه ويجوب الشوارع باحثا عن الموبقات، ويستخدم المخدرات، وأصبح الناس لايسلمون إلا على من يعرفون، ولا يحترمون إلا صاحب المال والجاه لا صاحب العلم والتقوى. ومن مظاهر الفوضى أيضا ظهور المغنيات، والحفلات الموسيقية (١)، وكثرة الطلاق.

---

(١) هناك نوعان من الغناء ، نوع محرم هو ماتقوم به المغنيات المتبرجات اللاتي يثرن الشهوات وأقل مايمكن ان يقال في هذه الأغاني انها عين التفاهه وإضاعة الوقت وقد تكون اسوأ من ذلك بكثير . النوع الآخر الإنشاد الديني وهو الحداء الذي كان يقوم به صحابة رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم ومنهم سيدنا البراءبن مالك وأنجشة الحبشي رضي الله عنهما ، وهو ما يرفع الانسان إلى مراقي الروح ولا ينزل به إلى هوة النفس الحيوانية .

ومن مظاهر الفوضى الأخلاقية : أن يكثر الزنا ، وشرب الخمر، والربا ، والرشوة ، وتتخذ الأمانة مغنما ، وقد بينا كيف أن هذا ينطبق تماماً على شركات توظيف الأموال . وينتشر تطفيف الكيل والميزان ، والكذب، وعدم الإلتزام بالعهود أي العقود المبرمة كمعاملات تجارية وصناعية وخلافهما ، وشهادة الزور، وتشبه الرجال بالنساء ، فيلبسون الملابس الضيقة الملونة، ويذهبون إلى الكوافير؛ وتشبه النساء بالرجال فيلبسون البطلونات ، ويقصون شعورهن كالرجال ، « **ويركبن على سروج كأشباه الرجال** » أي يقدن السيارات ؛ ويلبسن الملابس الشفافة الضيقة، «**كاسيات عاريات** » ؛ ويختلطن بالرجال في التجارة وفي الأعمال والأسواق.

ومن مظاهر الفوضى الفكرية : انتشار الأفكار المستوردة والأيديولوجيات الغربية التي ما كان لها أن تنتشر في بلاد المسلمين إلا بسبب بعدهم عن الدين وعلماء الدين والانبهار بالغرب وحضارته المادية الشهوانية البراقة ، فأصبح الناس « **ألسنتهم**

ألسنة العرب وقلوبهم قلوب الأعاجم » ، فلا يحترمون إلا الخواجة، ولا يصدقون إلا الكفرة ، ولا يثقون إلا بهم ، ولا يستشيرون غيرهم . ونعود هنا إلى إعجاب كل ذي رأي برأيه ، وانتشار إفتاءات الرويبضة في جميع أمور الأمة .

ومن مظاهر الفوضى الجسمانية : أن تظهر الأوجاع التي لم تكن معروفة من قبل، ويظهر موت الفجاءة ؛ ولقد أعلن أطباء الغرب سنة ١٩٩٢م أن هناك زيادة لم تكن موجودة قبل ذلك في موت الفجاءة ، بدون سبب يظهر في التشريح بعد الوفاة، وبدون مرض ظاهر. وكذلك تزداد السمنة وينشغل كل الناس بالرجيم .

ومن مظاهر الفوضى المادية : أن تزوى الأرض بوسائل المواصلات الحديثة ، ويتقارب الزمان، وتتقارب الأسواق، ويتطاول الحفاة العراة في البنيان .

ومن مظاهر الفوضى البيئية : أن تزداد الزلازل، والكوارث الطبيعية، والرياح العاصفة ، والفياضانات ، ويمنع المطر ، فإن نزل

لم تخرج الأرض شيئا ، وذلك أيضا بسبب انعدام البركات وازدياد اللعنات .

وأما عن تلوث البيئة الذي خرّب به الجنس البشري النظام الإلهي في خلقه، فما هو إلا مظهر من مظاهر الفوضى الشاملة حين امتدت إلى البيئة، وقد قال الله سبحانه وتعالي : ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس** ﴾ (١) والفساد ما هو إلا الفوضى ، فإن إفساد الشيء هو الإخلال بنظامه حتى يصبح غير صالح لما خلق له ، وقد فسدت البيئة برا وبحرا وجوا وسرت فيها السموم حتى في القطبين الجنوبي والشمالي وانتشرت فيها الإشعاعات الذرية حتى أن أحدا من البشر اليوم لا يخلو نخاعه العظمي من ترسيب المواد المشعة .

---

(١) سورة الروم آية ٤١ .

هل اقتربت الساعة ؟

رأينا مما سبق أن العلامات الصغرى قد ظهرت كلها وذلك بما لا يدع مجالا للشك. وإذا كان هذا هو الحال فإن ذلك يؤذن بقـرب وقـوع أولى العلامـات الكبـرى وهي ظهـور الإمـام المهـدي رضي اللهعنه، وبعده الدجال، ثم نزول سيدنا عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، ثم يأجوج ومأجوج، ثم يستمر الزمان في التدهور حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول : « الله ! » وعندئذ تقوم القيامة .

وظهـور المهـدي يتلو فتنا ومعـارك ومذابح تحدث في المنطقـة الشاملة للعراق والشام الكبرى، وتستمر ست سنوات، فإذا انقضت السنوات الست من بداية تلك الفتن ظهـر المهـدي وبويع بمكة. وهذه الأحـداث من السـهل وقـوعـهـا جـدا هذه الأيام، وفي هذه المنطقـة التي عُدم فيـهـا الاستـقـرار، وعـمـت الفـوضى السيـاسيـة

والحروب المحلية ومشكلة قيام دولة إسرائيل ، فإن قلنا إن هذه الأمور قد تكون قريبة الوقوع جدا فلن نكون إن شاء الله بعيدين عن الصواب، لأن الأحداث التاريخية في هذا الزمن تتحرك بسرعة كبيرة جدا ، ولم يعد قيام وانهيار الدول والإمبراطوريات يستغرق المئات من السنين كما في الماضي القريب ، أو الألاف من السنين كما في الماضي البعيد ، ولكن عشرات السنين ، وفي القريب العاجل تستغرق مثل هذه الأمور الجسيمة سنوات قليلة أو شهوراً .

أما ما بعد سيدنا عيسى عليه السلام من الأحداث ومنها خروج الدابة، والخسوف الثلاثة ، وخراب الكعبة، ورفع القرآن، إلى آخر ما يحدث قبل القيامة ،فإن زمن ذلك لايمكن استنتاجه من الأحاديث الواردة ولذلك نكل علمه إلى الله عزوجل .

والحمد لله أولا وأخيرا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

* * *

الفهـرس